آداب المخالطة

لجناب عزتلو عبد القادر بك المؤيد

تابع آداب المحادثة

اوردنا في الجزء الخامس من المقتطف نبذة من آداب المخالطة فيما يتعلّق بآداب المحادثة ووعدنا باتمامها عند سنوح الفرصة وهنا نذكر شيئًا ما وعدنا به فنقول

قد ذكرنا في نبذتنا السالفة آداب المحدّث اي المتكلّم فبقي علينا ان نذكر طرفًا من آداب المحدَّث اي السامع وهي (١) حسن الاصغاء الى المتكلّم بترك الكلام مع سواهُ وترك الاصغاء الى غيرهِ (٢) التحرُّز من ان يطرأ عليهِ فكر في غير ما يسمعهُ من يحدّثهُ فيلهيهُ عن فهم بعض مقالهِ فاذا طالبهُ منهُ في آخر الكلام لا يجدهُ معلومًا عندهُ فيخجلهُ اعادتهُ او يخجل من علم وعيهِ له (٣) ان لا يميل بوجههِ عن محدثهِ ولا يزايل نظرهُ عن وجههِ اشغالاً بتهمهُ بالفكر في غير حديثهِ او عدم الاصغاء اليهِ (٤) ان لا يقطع عليهِ كلامهُ بشيء حتى ولا باستدعاء ماء يشربهُ بل يتربّص الى محط الكلام[1] (٥) ان لا يسبقهُ الى حديث يبدأ بهِ لمعرفتهِ بذلك الحديث بل يريهِ انهُ مرتاح اليهِ كانهُ لم يخطر ببالهِ ولا قرَّ في سمعهِ قط (٦) كتمان سر المحادث والوفاء لهُ بما يعهد اليهِ بكتمانهِ (٧) التحرُّز من ان يستولي على فكرهِ العوص في شيء فيعبث بلحيتهِ او باظفارهِ او بعض مروحة تكون في يدهِ او يقطع بعض اهداب المروحة واطراف الحصير او يلقط ما يسقط بالانامل او يلقط زغب الطنفسة (٨) ان لا يجاوب باجوبة عديمة المناسبة او خارجة عن صدد الحديث بل يتوصل الى احرازهِ بما يشاكلهُ ويجري في عرضهِ حتى يكون بعض المفاوضة متعلقًا ببعض على حسب قولهم الحديث ذو شجون اي شعب متفرعة عن اصل واحد الى معانٍ كثيرة ومواضيع مختلفة (٩) ان لا يكثر من الاطراء على محدثهِ بقولهِ لهُ عقب كل جملة صحيح او احسنت او صدقت او نعم افندم او نعم سيدي او هذا هو الواقع او هذا هو الصواب او صح او يصادق لهُ على كل ما يقولهُ مستحسنًا اياهُ مضمرًا في نفسهِ خلاف ذلك فان هذا نفاق صريح مذموم حتى ان من الناس من لا تعرف لهُ مذهبًا ولا مشربًا فاذا ذممت زيدًا ذمك معك واذا مدحتهُ مدحهُ واذا فجّعتهُ اعادهُ فجيعها معك واذا استحسنتها استحسنها فهو لا يستقر على حال ولا يُعرَف لهُ مشرب سوى كونهِ منافقًا (١٠) ان لا يبادر بالجواب قبل انتهاء الكلام فانهُ دليل على الخفة ولا يسرع

(١) حكاية ما كان احد الملوك يمشي مع زوجتهِ في بستان لهُ وفي عنقها عقد من الجوهر فانفصل فسقط وهي تحدثها حديثًا فلم تلتفت الى العقد وفطن لهُ الملك فقال اما رايت عقدك قد سقط فقالت بلى ولم يبلغ من قدرهِ ان اقطع لهُ حديث الملك فاستحسن الملك ادبها وذكاءها وزاد اعتبارها عندهُ

بالجواب بدون تروٍّ بل بتأنٍ قليلاً اهلاً يسقط . هذا ما تهم معرفته من بعض آداب المحادثة ويليها القسم الثاني من مقالتنا في آداب الزيارة

آداب الزيارة

الزيارة واسطة متينة لتأليف القلوب واحكام عرى المودة والصحبة فينبغي المثابرة عليها بين الاصدقاء والاحباب وقد اختلفوا في أن الاقلال منها خير ام الاكثار فمن قائل بالاوّل مستشهداً بقول الشاعر: عليكَ باقلال الزيارة انها اذا كثرت كانت الى الهجر مسلكا

ألم ترَ ان الغيث يُسأمُ دائما ويطلبُ بالايدي اذا هو امسكا

ومن قائل بالثاني مستدلاً بقول القائل

اذا حققت من خلٍّ وداداً فزرهُ ولا تخف منه ملالا

وكن كالشمس تطلع كل يوم ولا تبدو في زيارته هلالا

ومنهم من يتقاعس عن زيارة اصدقائه وخلّانه حتى اذا لقي احدًا منهم اعتذر بقول القائل

وما الودُّ ادمان الزيارة من فتىً ولكن على ما في القلوب المعوّلُ

الاّ ان هذا العذر غير مقبول في شرع الاصدقاء : اما مسألة الاكثار من الزيارة او الاقلال منها فعندي انهُ لا يمكن الجزم باحد القولين على سبيل الاطراد لان الناس متفاوتون فمنهم من تسمح له اوقاته واشغاله بمبادلة الزيارات بكثرة وبالعكس ومنهم الصديق الحميم الذي اذا زرتهُ في كل ساعة لا يمل مجالستك ولا يستثقل زيارتك ومنهم المتوسط . فعلى المرء ان يسلك في ذلك بحسب الحال والزمان

وللزيارة آداب كثيرة منها ما يتعلّق بالمزور ومنها ما يتعلّق بالزائر اما آداب المزور فهي :

(١) ان يلقى زائرهُ ببشاشة وطلاقة وجه ويستقبله من خارج المنزل اذا كان اهلاً لذلك او يكتفي بالقيام له ان لم يكن اهلاً (٢) ان لا يردهُ بقوله لا اقبلك الآن او لا اقدر ان اقبلك او لي شغل يمنعني عن قبولك فان محدثنا لم تتوطد على هضم مثل هذه العادات[1] ومن هذا القبيل ان يقول لجاريته او غلامه او ولده قل له ليس سيدي هنا او ليس ابي هنا فان من يفعل ذلك لا يكون ردّ زائرهُ وكذب فقط بل علّم ولدهُ او غلامه الكذب ويا لها من خيانة اذا فهم الزائر ذلك[2] (٣) ان يجلسهُ

(١) المقتطف * لا ريب ان حضرة صاحب المقالة اشترط هذا الشرط على المزور مع زائر يراعي ما اشترطه عليه في ما يلي واما الجماعة الضرورة الى مخالفته . واما من يجعل دابة الزيارة في كل آن توافقهُ الزيارة فيه وتضرُّ بغيره حرصاً على وقته واضاعة لوقت غيره فلا نرى مانعاً من ردّه ولا سيما اذا كان المزور مستخدماً قد باع وقته بالمال فلم يعد له بل لمستخدمه

(٢) حكاية * طرق رجل باب صديق له وقد رآهُ صديقه من طاقة فقال لولده قل له ليس ابي هنا وكان الولد مغفلاً فخرج وقال له قال لي ابي ان اقول لك انهُ ليس هنا